Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وسطحها فى صفرة التبر ، وبدت زهرة الأقحوان كخاتم من فضة تزينه فصوص من ذهب ، وتناثر الطل حول النرجس الغض فكان كالعيون يترقرق الدمع فى أجفانها ، واختار « الخيرى » أن يعبق بشذاه ليلاً كالعشاق ، لأن الليل أكتم للسر ، على حد تعبير ولادة بنت المستكفى :

وغانيةٍ يُغنى عن العود صوتُها ... وجارية تسقى ، وساقيةٌ تجرى
بحيث يجر النهرُ ذيْلَ مِجَرةٍ ... يرف على حافاتها الزهر كالزهر
وقد هزت الأدواحُ خُضر كتائبٍ ... بألوية بيض على أسلِ سمر[١٨]
رمى قزحٌ نبلا إليها فجردت ... سيوفا ، سواقيها على دارع النهر
وهبَّت صَبا نجدٍ فجرت غلائلا ... تخفف دمعَ الطل عن وجنة الزهر
كأن بصفح الروضِ وَشْىَ صحيفةٍ ... وكالألفاتِ القضبُ ، والطرسُ كالتبر
كأن به النرجسَ الغضَّ أعينٌ ... ترقرق فى أجفانها أدمُع القطر
كأن شذا الخيرى زورةُ عاشقٍ ... يرى أن جُنحَ الليل أكتمُ للسر

الأبيات بديعة التصوير ، تكثر فيها الصور البلاغية ، وبعضها جديد من صنع أبى البقاء ، كتشبيه شذا « الخيرى » يعبق ليلا بزيارة العشاق لا تتم إلا فى الظلام ، أو تشبيه زهر الأقحوان بخاتم من فضة . ولكن ؟ . . أين هو من هذا كله ؟ بماذا أحس ؟ ما صدى هذا الجمال فى نفسه ؟ لا يشى بشىء من حقيقة مشاعره ، والحق أنه ليس فردًا فى هذا الطريق ، فجل شعراء العربية يقفون على الحياد بإزاء جمال الطبيعة حين يعرضون لها ، غير أنه تجافى عادة أندلسية شائعة ، فرفاقه فى وطنه لا يتحدثون عن الرياض إلا ويعرضون للشراب فى ظل أشجار ، وبين طيب هوائها ، ولا يذكر الشراب إلا ومعه السقاة والصبايا الفاتنات ، وقد يجمعون إلى هذا كله الموسيقا والغناء . أم تراه كان يقصد بدءا أن يصف الساقية فحسب ، مهارة وإظهارًا لمقدرته ؟ لا يمكن الجزم بشىء من هذا ، فى غيبة بقية القصيدة ، وقدم لها ابن الخطيب بأنها من المطولات .

---

(١٨) فى الأصل :

« وقد هزت الأرواح خصر كتائب » ، ولا أراه مفهوما .